وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رابطة العالم الإسلامي
المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار

الحوار في ضوء المبادئ الأساسية للعلاقات البشرية

د.عبد الرحمن الماحي
رئيس جامعة الملك فيصل – تشاد

31/5-1429/6/2هـ
2008/6/6-4
مكة المكرمة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

Π

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

تمهيد:

لقد عاشت كلمتا (الحوار .. والجدل) في حياة البشرية ووعيها منذ أن بدأ الإنسان يواجه الحياة الاجتماعية التي تختلف فيها الآراء، وتتنوع عندها الأفكار، لتجسد المعنى الذي تنطلق فيه أفكاره في مجال العرض والطلب، وفي ميادين التدافع البشري في معترك الحياة.

فكلمة الجدل توحي لنا بمعاني الحوار الذي يعيش في أجواء الخلاف الفكري والعقيدي الذي تهمين عليه أجواء التوتر الفكري والنفسي والكلامي من أجل الوصول إلى الغلبة، إن كان هناك مجال للغلبة، أو إلى التفاهم، إن كان هناك سبيلاً إليه..

بينما توحي لنا كلمة الحوار بأوسع من ذلك، ونحن لا نجد لها ذكراً في القرآن الكريم إلا في آيات ثلاث، جاءت اثنتان منهما في سورة الكهف في معرض الحديث عن قصة صاحب الجنتين وحواره مع صاحبه الذي لا يملك كثيراً من المال أو غيره . قال الله تعالى : ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ (الكهف: 37). وقال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ (الكهف : 37).

أما الآية الثالثة ، فقد جاءت في سورة المجادلة ، قال تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ . (المجادلة: 1).

أما كلمة الجدل فقد جاءت الإشارة إليها في القرآن الكريم في سبع وعشرين موضعاً في القضايا الخاصة والعامة، ولهذا لجأ الإسلام إلى الجدل القائم على الحوار المباشر الذي ينطلق من طرح الفكرة في ميدان التدافع من أجل شغل الساحات بعلامات الاستفهام التي يطرحها الإسلام مع أجوبتها، ليوفر على المتحاورين جهد البحث عن سؤال، قد لا يجدونه جاهزاً في أفكارهم، وربما يواجهون صعوبة في العثور عليه. كل ذلك من أجل أن تدخل الفكرة الصحيحة في وعي الإنسان بعمق، وتقتحم أفكاره وحواره الذاتي إلى جانب جداله مع مجتمعه، ومع الفئات التي يتمثل القوة المعارضة والمعاندة في كل زمان ومكان [1].

يعيش المجتمع البشري في كل زمان ومكان في حاجات متضادة وأفكار متباينة ومشاعر مختلفة، ويقف أفراده ليتحاسدوا، وليتحاربوا، وليتقاتلوا كأسلوب من أساليب التعبير عن ذواتهم فيما يريدون وفيما لا يريدون، وكان الحوار هو الأسلوب الأمثل الذي اتخذه الأنبياء والرسل ـ صلوات الله عليهم ـ في أداء رسالتهم الإلهية إلى البشرية لإخراجهم من الظلمات إلى النور، فتحرك

(1) محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 17.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الإنسان في الاتجاه المعاكس أو السلبي، حيث أنكر الرسالة، وتمرد عليها، وكفر بها، وحاربها، بينما صبر الأنبياء والرسل من موقع الوعي الرسالي بطبيعة الدعوة، وشعروا أنهم نجحوا في إفساح المجال لهذا الإنسان لأن يشك وينافس ويعيش الحيرة والقلق في داخله، وإن حاول أن يوحي بالإرادة المضادة[1].

بدأ الإنسان يحاور الأنبياء والرسل حواراً عنيفاً يبرز تمرده عليهم وعلى الرسالة التي جاءوا بها من ربهم.

ووقف الأنبياء والرسل يحاورونه حواراً يخفف من تمرده. فكانت الكلمة الطيبة تقابل الكلمة الخبيثة الحاقدة، كانوا يريدونه أن يسمع إلى الكلمة الطيبة ليتعلمها لتبقى في وعيه ليمارسها ولو بعد حين، وكانوا يدللونه بتسامحهم ليعرف كيف يتحول التسامح إلى ممارسة عملية تتجسد في موقف النبي المرسل.

كان الإنسان يريد أن يهزم رسالاتهم من خلال كلماته الخبيثة ، ومواقفه العنيدة، وكانوا يعملون على أن ينتصر الإنسان على نفسه من خلال الانتصار على رواسب العناء في داخله، فيتصبرون ليعلموه كيف يكون الصبر على النوازع الذاتية وعلى التحديات المضادة وعلى الوقوف مع الحقيقة بقوة، وعلى روح الحوار التي توحي له بالانفتاح الرحب على كل ما في الحياة الدنيا من قضايا ومشاكل بشرية[2].

كانت تلك الدروس في الحوار من خلال الأنبياء والرسل وأممهم ، وكان القرآن الكريم خاتمة الكتب السماوية التي جاءت لتعلم الناس كيف يكون الحوار طريقاً لمعرفة العقيدة الصحيحة، والفكر البناء والعمل الصالح المثمر، وجاء الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية ليكون دين الحوار الذي يحث الإنسان أن يفكر في كل شيء، وليحاور الآخرين على أساس الحجة والبرهان والدليل والآيات البينات، ليعلمهم كيف يصلون إلى قناعته بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

وانتشر الإسلام وانتشرت معه تجارب الحوار ، وعرف المسلمون كيف يحاورون العالم من خلال نشرهم لرسالة الإسلام في أجواء الحوار التي تخدم الإنسان الذي يختلف معها لتقوده إلى الإقرار بمبادئها من موقع الاحترام للأصل البشري والكلمة الطيبة والموقف الإيجابي والمصير المشترك مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا

(1) الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل، ص 45.

(2) الدكتور عمر الأشقر ، الرسل والرسالات ، ص 43 - 45.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء:35) .

بسط الموضوع:

إن قضية الحوار بين الناس هي إحدى الهموم الكبيرة للعاملين في الدعوة إلى الله لنشر الخير، وللعاملين في السياسة لنشر الوئام والسلام.

فإثارة روح الحوار في نفوس العاملين للإسلام للتحاور مع الآخرين، أمر دعوي في خطواته القرآنية، وفي خطواته النبوية، ولذلك فإن عليهم أن يبذلوا كل ما في وسعهم من طاقات إيمانية وفكرية ومادية ليدفعوا إلى أجواء الحوار، ليجعلوا منه مجالاً منتجاً في رحابته الإيمانية، وفي عمقه الفكري، وفي الوقت نفسه لابد لهم من التعمق في الدراسة والبحث والتأمل، لأن الحوار الدائر الآن يفرض على أطرافه أن يبلغوا المستوى العالي في العلوم الشرعية، وعلوم الثقافة العامة التي تتحرك في أكثر من اتجاه، لأن المشاكل المطروحة على الساحة لا تنحصر في أفق واحد، بل تتنوع آفاقها ومنطلقاتها حسب تنوع المناطق والأمم التي تتحرك فيها، ومعالجة مشكلات الحياة في جوانبها المختلفة المتنوعة من خلال إثارة المفاهيم العامة بين الإيجابيات والسلبيات في عملية مقارنة منفتحة واعية.

إن المجتمع المسلم المعاصر عليه أن يعمل في حواره مع الآخرين في اتجاهين: الاتجاه الأول يعمل ضد سوء الفهم الخاطئ والسيئ للإسلام الذي عانينا ولا نزال نعاني منه كثيراً كنتيجة طبيعية للممارسات الفكرية الخاطئة أو العرض السيئ للإسلام.

والاتجاه الثاني : يعمل ضد التحديات التي يثيرها الآخرون حول الإسلام وحلوله لمشاكل الحياة وقضايا الفكر والعقيدة والأخلاق والعلاقات البشرية في مشارق الأرض ومغاربها.

لقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى الحوار الإيجابي بينهم وبين المسلمين، حوار يبرز نقاط الاتفاق ليجعل منها منطلقاً للتعاون البناء الجاد لخير البشرية كافة.

يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: 64).

وينهى الله عز وجل عن الحوار السلبي بين المسلمين وأهل الكتاب، الذي يبرز نقاط الاختلاف ويهمل نقاط الائتلاف ، لأن ذلك الحوار لن يكون في مصلحة البشرية، لن يؤدي إلا إلى التنافر والتناحر.

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ (العنكبوت: 46).

وعلى الرغم من ذلك يزعم عديد من قادة الغرب وساسته وإعلامييه ومفكريه أن الإسلام لا يهتم بالحوار مع الآخرين، ويعتبرون الإسلام الخطر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الأكبر على الغرب وحضارته ويستنفرون شعوب الغرب للتكتل في وجه الإسلام والمسلمين .. ولا يخفي كثير من قادة الغرب النظرة العدائية للإسلام والمسلمين .. حتى أن أميناً عاماً سابقاً للحلف الأطلسي وهو (ديلي كلايس) أعلن بوضوح : إنه بعد سقوط الشيوعية وانتهاء الخطر الأحمر، فإن على الغرب مواجهة الإسلام والمسلمين (أو ما سماه بالخطر الأخضر)[1].

ولهذا يتساءل مفكرون مسلمون عن جدوى الحوار مع الغرب إذا كانت هذه هي النظرة تجاه الإسلام والمسلمين، ويرون أن الحوار في ظل هذه الرؤية الغربية هو حوار يستهدف إملاء الإرادة والسيطرة على الشعوب الإسلامية وخيرات بلادها الطبيعية ، بينما يرى مفكرون مسلمون آخرون أنه لا مانع من الحوار بين العالمين الإسلامي والنصراني من أجل الوئام والسلام، حتى تتبدد الغشاوة ويتوقف التشويه والتشكيك ضد الإسلام والمسلمين في أنحاء العالم[2].

وتزايد الاهتمام بموضوع الحوار في الآونة الأخيرة في أعقاب ظاهرة العولمة وظاهرة توقع الصدام بين الحضارتين النصرانية والإسلامية، وظاهرة الاعتداء على مسيرة نبي الرحمة والحوار محمد ﷺ في العالم النصراني.

ويرى المفكر الألماني المسلم الدكتور / مراد هوفمان : (إن العداء الغربي للإسلام ليس سببه الاختلاف الديني بين المسيحية والإسلام ، وإنما سببه العداء العنصري للهويات غير الوطنية في أوروبا .

ويؤكد ضرورة توضيح الصورة الكاملة والصحيحة عن الإسلام في الغرب.. وينبه إلى ضرورة فهم العقلية الأوروبية والغربية قبل التحاور معها).

إن الحوار بين المسلمين والنصارى لتقريب وجهات النظر في مسيرة الحياة في حالة الضعف، أو في حالة القوة، في حالة الحرب ، أو في حالة السلم، في إطار المبادئ والقيم الإنسانية المشتركة التي تحقق العدل والإحسان والأمن والسلام والتعايش السلمي بين الشعوب أمر ضروري.

ولذلك ستتناول بالشرح بعض المبادئ الأساسية للعلاقات البشرية التي يمكن أن يكون الحوار في ضوئها مثمراً وناجحاً بين الأطراف المتحاورة.

لقد تطورت العلاقات البشرية بين المسلمين والأمم والشعوب الأخرى تطوراً واكب طبيعة العصر ومتطلبات الحياة التي اقتضت التبادل التجاري والحوار الإيجابي والبعثات السياسية والتعليمية والدعوية ، ولقي غير المسلمين في البلاد الإسلامية كل عناية ورعاية وتسامح وحياة هانئة وهادئة في ضوء تعاليم الإسلام وحضارته.

وكان لهذه العلاقات مبادئ وأسس تقوم عليها وتنطلق منها.

ونذكر من هذه المبادئ والأسس ما يلي:

---

(1) وكالة الأنباء القطرية ، الدوحة ، نوفمبر 2000م.
(2) وكالة الأنباء القطرية ، الدوحة ، نوفمبر 2000م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

أولاً: التوحيد

وهو أولوية يفرضها الشرع ويؤيدها العقل البشري، وهو أهم وأعظم ما يوجه إلى غير المسلمين، لأن التوحيد هو دعوة كل الأنبياء والرسل، مصداقاً لقول الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: 25).

والدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك بكل صوره هو ما دعا إليه نبينا ورسولنا وسيدنا محمد ﷺ أهل مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة، ثم فرضت أركان الإسلام الأخرى تباعاً (الصلاة والزكاة والصوم والحج) لتجد أرضية إيمانية في نفوس البشر ترتكز عليها وتنتشر في ضوئها. ولا تلقى الدعوة إلى التوحيد لغير المسلمين معارضة كبيرة في العصر الذي نعيش فيه ، فقد كفلت المواثيق الدولية ذلك، مثل ميثاق حقوق الإنسان الصادر سنة 1948م ، والاتفاقيتين الدوليتين الصادرتين عن الأمم المتحدة سنة 1966م الخاصتين بالحقوق المدنية والاقتصادية والسياسية للإنسان، ولا تعترض الدول على حق الاعتقاد والتدين إلا إذا كان يشكل خطراً أمنياً أو صحياً أو أخلاقياً، بينما تملك الدول جميعاً الاعتراض على ممارس العمل السياسي أو الاجتماعي خارج الضوابط التي تضعها كل دولة.

ولذلك ينبغي أن يراعى الحوار مع غير المسلمين عدم سب عقيدتهم، حتى لا يؤدي الأمر إلى التخوف من الإسلام والمسلمين، مصداقاً لقول الله عز وجل : ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 108).

فقد نهى الله عز وجل سب الأصنام والأوثان التي يعبدها المشركون حتى لا يسبوا الله عدوا بغير علم، فكيف بأهل الكتاب الذين جاء فيهم قول الله تعالى : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: 46).

ويكفي الداعية المسلم أن يعرض أركان الإسلام ومقاصد الشريعة الإسلامية وقيم وآداب الإسلام، وأن يستند في ذلك على ما ورد من نصوص في القرآن الكريم والسنة النبوة المطهرة[1].

(1) الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد، تأليف نخبة من الباحثين والكتاب ، ص 299 وما بعدها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وتجدر الإشارة إلى أن دائرة قانون غير المسلمين لا تحتوي أو تتسع للقيم والأخلاق الإسلامية، لأن الهدف من القانون الوضعي ليس للرقي بالإنسان أو تزكية النفوس، بل الهدف الرئيس هو حفظ الأمن بين طوائف المجتمع البشري وأفراده، فهدف القانون عندهم اجتماعي بحت، وليس أخلاقياً أو دينياً. فيجب أن يراعي الداعية المحاور لغير المسلمين هذه الظروف وما يترتب عليها من إيجابيات وسلبيات اجتماعية وسياسية واقتصادية، وعليه أن يلتزم بمعيار الشرع في كل الأحوال، ولا يجوز له أن يترك هذا المعيار لأي معيار آخر، فالحق أحق أن يتبع دون اللجوء إلى الإدانة والتهكم، بل بالحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة، حتى يكون الحوار ناجحاً بين بني آدم عليه السلام لأداء الوظيفة التي خلقوا من أجلها بسلام وهي عبادة الله وعمارة الأرض في ضوء ما جاء في الكتاب والسنة النبوية المطهرة، من مبادئ وأسس للعبادات والمعاملات والعلاقات بين الناس.

ثانياً : وحدة الأصل البشري

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: 1).

ويزداد المبدأ وضوحاً في قول النبي محمد ﷺ : ((لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى)) [1].

وقوله عليه الصلاة والسلام : ((والناس بنو آدم وآدم من تراب)) [2]

إن هذه الآية الكريمة والأحاديث الشريفة جاءت لتؤكد وحدة الأصل البشري وتحطم الفوارق التمييزية بين البشر، فكل البشر من نفس آدم، وهم أمام خالقهم سواء في المسؤولية والجزاء والحساب والعقاب مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (الحج: 10).

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: 13).

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ (الروم: 20).

ثالثاً: كرامة الإنسان

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء:70).

---

(1) أخرجه الإمام أحمد من حديث ا بن أبي نضرة.
(2) أخرجه الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وهذا التكريم ليس خاصاً بإنسان دون غيره، ولا بلون دون آخر، إنما الجميع سواسية في حق التكريم، فالخطاب لبني آدم ، ومعيار التفاضل بينهم هو التقوى والعمل الصالح.

يقول الله عز وجل : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً & وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴾ (الإسراء: 18-19).

وبعد ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ (الإسراء:20).

فعطاء الآخرة لا يعلمه إلا الله عز وجل، وأما عطاء الدنيا فيظهر في أن نور الشمس يضئ لجميع البشر مؤمنهم وكافرهم، والماء والهواء للجميع أيضاً، وعناصر الكون: من سماء وأرض وجبال ومعادن ونباتات وأنعام وطيور وحيتان وزواحف وحشرات وغير ذلك من هذه المخلوقات، لا دخل للبشر في وجودها في الكون، والعلاقة بين هذه المخلوقات وبين بني آدم هي علاقة تسخير ، مصداقاً لقول الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (لقمان:20).

وهناك أمور عديدة تمثل كرامة الإنسان ـ في التشريع الإسلامي والعلاقات البشرية ـ أصدق تمثيل ، مثل صلة الأرحام، وحسن الجوار ، ورعاية الأيتام، وحقوق الوالدين والزوجين والأبناء، وإقامة العدل في المعاملات بين الناس ، وتحريم الظلم والرشوة والربا والاحتكار، الأمر الذي يتفق عليه العقلاء في كل مجتمع بشري على ضرورة ووجوب تجنبه.

ونحن نعلم أن الربا والاحتكار كانا وراء تمكن تجميع الثروات وحرمان الفقراء والمساكين من تلك المردودات التي تجني من تلك الاستثمارات وفي ذلك انتهاك لكرامة الإنسان، في حين يحرم الإسلام الربا والاحتكار لكونهما وسائل غير مشروعة لاستثمار المال، وذلك حفظاً لكرامة الإنسان من الذل والهوان، وكرامة الإنسان مبدأ مشترك بين المسلمين وغيرهم للدعوة والحوار، والاقناع والاقتناع من أجل حياة أفضل في المجتمع البشري.

رابعاً: التعاون البشري

إن التعاون هو قوام الأسرة وقوام الأمة، وهو مبدأ عام في كل الجماعات البشرية، قرره القرآن الكريم ، ودعا إليه، قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: 2).

ودعا إليه نبينا ورسولنا محمد ﷺ في أحاديثه ومعاهداته بين القبائل العربية والأمم الأخرى، حيث يقول : ((الله في عون العبد ما دام العبد في عون

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

أخيه)) أو كما قال عليه الصلاة والسلام. ولاشك في أن التعاون هو كفيل بتحسين العلاقات وينمو التعاون بين الدول.

فبالتعاون البناء بين البشر في عصرنا يسود العدل ويعم الخير في ظل المحبة والمودة والرحمة والتسامح بين الناس، فيختفي مبدأ التناحر على البقاء الذي جر على العالم كله الويلات والدمار والهلاك، والتعاون على البر والتقوى مبدأ مشترك للدعوة والحوار بين المسلمين وغيرهم من البشر.

خامساً: التسامح

يدعو الإسلام إلى التسامح بين الأفراد والجماعات والأمم، كما يدعو إلى بناء العلاقات البشرية السوية في غير استسلام للشر مع ضرورة دفع العداوة بالتي هي أحسن، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: 34).

وإذا كان ما يوجب عقاب المسيئ ، فإن العقاب يجب أن يكون في دائرة الأخذ بالحق من غير اعتداء ، وإذا كان الصبر ممكناً يكون أولى بالاتباع ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (النحل: 126).

سادساً: الحرية

هذه الكلمة السحرية التي تناولها عدد كبير من الكتاب والمفكرين، وأعطوها تعريفات متعددة ، لا يعنينا منها إلا المضمون الأساسي للحرية، وهو أن الحرية هي المظلة المعبرة عن العدل لتطور الحياة البشرية فهي التي توفر قدراً معيناً من النشاط البشري الهادف، وتساعد في نشر الوعي الفردي والجماعي بين الأمم والشعوب.

وأن الحوار مع الآخر يحتاج إلى مساحة واسعة من الحرية التي توفر جواً خالياً من الخوف يساعد المتحاورين على طرح الأفكار والآراء المتباينة من أجل الوصول إلى الهدف المنشود الذي يؤدي إلى التفاهم والتعاون والتضامن والوحدة والوئام والسلام بين الناس.

وأن الاختلافات الفكرية والمذهبية والطائفية ما هي إلا نتاج طبيعي لتوسع حركة الإنسان بحرية في معترك في ضوء الرصيد الحضاري للحضارة البشرية عموماً، والحضارة الإسلامية على وجه الخصوص.

وأن الحرية الشخصية الحقيقية للإنسان تبدأ بتحرير النفس من سيطرة الأهواء والأغراض الذاتية، أما الحرية في المفهوم الإسلامي، فتكمن في مقاصد الشريعة وهي : " حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ المال وحفظ النسل " وهذه المقاصد قضايا مشتركة بيننا وبين الطرف الآخر للدعوة والحوار والعلاقات البشرية والجزاء من جنس العمل.

سابعاً: الفضيلة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

إن من أسس العلاقات البشرية في الإسلام التمسك بالفضيلة سواء أكانت بين الأفراد أم بين الجماعات وسواء أكانت العلاقة في حال الحرب أم في حال السلم، ولا يصح للمسلم أن يجاري الأعداء في مآثمهم وما يرتكبون ضد الفضيلة . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة:194).

فالفضيلة هي من القيم العظيمة التي يجب أن تتحلى بها النفس البشرية في الحياة الاجتماعية فالحلم والعفة والشرف والتواضع والتسامح والحوار البناء والإيثار، من الفضائل التي دعا إليها الإسلام ورغب فيها وهي من القيم التربوية والأخلاقية التي ينبغي أن نجسدها في حياتنا العملية وفي علاقاتنا وحوارتنا البشرية.

فبالفضيلة يمكننا أن نتحاور، وأن نتفاهم , وأن نتجاوز التحديات النفسية والسياسية والاقتصادية والمذهبية والطائفية نحو بناء علاقات بشرية متينة سمحة ومتوازنة ، بعيدة عن التكبر والتجبر والتعالي والسيطرة والإذلال والإهانة والظلم وسوء الفهم والغرور فقد تحدث كثير من العلماء والمفكرين في الفضيلة ومعناها وإبراز دورها في إصلاح شأن الأفراد والجماعات والأمم والشعوب لأنها قيمة في ذاتها ومنطلقاتها الإنسانية في حياة البشر وهي من المبادئ المشتركة للحوار مع الآخر.

ثامناً: العدل

تقوم العلاقات البشرية في الإسلام على العدل واعتبار الناس جميعاً سواء من أصل واحد ,وإن كان ثمة تفاضل فبالأعمال ، والجزاء عليها إن كان خيراً فخير ، وإن كان شراً فشر، وقد صرح القرآن الكريم في كثير من آياته بأن أساس الأحكام الإسلامية المنظمة لعلاقات الناس بعضهم مع بعض أفراداً وجماعات هو العدل، وذكر أيضاً أن العدل هو الشريعة التي قامت عليها رسالة نبينا محمد ﷺ وقامت عليها الرسالات السماوية السابقة لها ، فالعدل قيمة عليا في الإسلام وهو عماد الخير والرحمة والصلاح، والنظام، وهو تمام الملك والسلطان، فلا نظام إلا بالعدل، ولا أمانة إلا بالعدل، ولا حوار مع الآخر إلا بالعدل، ولا حكمة إلا بالعدل.

فالعدل هو غاية الغايات وهو الأساس الذي أقام الله عليه الكون، ليس في الإنسان مع الإنسان فحسب، وإنما في الإنسان مع نفسه وأسرته وأمته، وفي الإنسان مع ربه، ومع كل ما في الكون من مخلوقات.

ولا ريب في أن الانحراف عن العدل أشد ما يقطع الصلات بين الناس، ويغرس الأحقاد ، ويثير أعاصير الكيد والانتقام، ويهدد المجتمع بالأخطار التي تحمل الناس ما لا طاقة لهم باحتماله من آثار الخصومات والضغائن والمكر.

فبالعدل تتطور الأمم وتزدهر العلاقات البشرية في السياسة والاقتصاد، والحياة الاجتماعية ، والحوار البناء بين الشعوب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ولذا حث عليه القرآن الكريم في الأقوال والأفعال والأعمال وممارسته في واقع الحياة البشرية كلها، حتى تسود روح التعارف والتآلف والتعاون والمحبة والمودة والرحمة بين بني آدم عليه السلام، وتتجسد قيمة العدل في حركة الإنسان في معترك الحياة.

فقد قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: 90).

ويتشعب عن العدل مبدأ المعاملة بالمثل في التعامل البشري بين الأفراد والجماعات والأمم سواء أكان من يعامله مسلماً أم غير مسلم لقول النبي محمد ﷺ: " لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" .

ولا يتنافى ذلك مع مبدأ العدل ولا مع الفضيلة ، أو الحرية ، لأن التسامح يجب إلا يؤدي إلى شيوع الظلم، إذ شيوع الظلم فيه شيوع الفساد، والله لا يحب المفسدين ، والعدل لا ينافي الرحمة، بل أنه يلازمها ، فحيث كان العدل كانت الرحمة والمعاملة بالمثل.

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 8).

تاسعاً: الوفاء بالعهد

إن الوفاء بالعهد لا يختص بعلاقة المسلم بأخيه المسلم ، وإنما يتجاوز ذلك إلى مختلف العلاقات البشرية ، فهو مبدأ عام فرضه الله على المسلمين وأن المعاهدات بين الناس لا تستمد قوتها من نصوصها بل من عزيمة عاقديها على الوفاء بها. ولذلك حث القرآن الكريم على الوفاء بالعهد واعتبر الوفاء بالعهد قوة إيمانية وقوة سياسية واجتماعية واقتصادية والنكث فيه ضعف في الإيمان والسياسة وجبن في الشخصية . قال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾ (الإسراء: 34) ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ (النحل: 91).

ويقول النبي ﷺ : ((ألا أخبركم بخياركم؟ خياركم الموفون الطيبون)) [1].

فصلاح الأمة في الوفاء بعهودها ومواثيقها، وفساد الأمة يكمن في عدم الوفاء بعهودها ومواثيقها، لأن في الوفاء استمرار للعلاقات البشرية وتماسكها وترابطها، وفي ذلك احترام للإسلام ودعوته القائمة على الصدق والوفاء والحوار البناء مع الآخر.

<u>عاشراً: المودة ومنع الفساد في الأرض</u>

---

(1) أخرجه أبو يعلى ح (**1052**).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

إذا كان الأصل البشري واحداً والناس أمة واحدة، فإن الأخوة الإنسانية ثابتة يجب وصلها ولا يصح قطعها، وقد أمر الله تعالى بأن توصل القلوب بالمودة، وأن الإسلام لا ينهى عن بر كل من لا يعتدي على المسلمين، ويصرح بذلك القرآن الكريم في كثير من آياته، ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ & إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة: 9،8).

فالإسلام لا ينظر إلى حماية الدولة الضعيفة من الدول القوية فحسب، بل أنه يعمل على حماية الشعوب التي أرهقها الظلم والطغيان، وحث الإسلام على منع الفساد بكل أشكاله الظاهرة والباطنة، ودعا إلى العمل الصالح لنفع البشرية بشتى الوسائل. قال الله تعالى : ﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (المائدة: 32).

وإذا كان العالم اليوم يعيش في مفهوم العولمة، بعد أن هوت نظم وتكتلات ، وأفلست نظريات وشعارات، فإن الذي يجب أن يرتقي إليه الناس كافة بكل شجاعة وإخلاص هو الإسلام، مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾. (آل عمران: 85).

وقوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (آل عمران: 83).

إن المرحلة التي يمر بها العالم اليوم تحتاج إلى بذل جهود كبيرة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بعيداً عن الغلو والجفاء، ورد الشبهات التي أثيرت ضد الإسلام والمسلمين بالتي هي أحسن مصداقاً لقول الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ & وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ & وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت: 33-35).

ولاستحالة الجمع بين الحسنة والسيئة وبين الحق والباطل وبين الكفر والإيمان، وبين المعروف والمنكر، يطلب من الأمة الإسلامية أن تجعل من العلاقات البشرية والتواصل الحضاري بين الأمم والشعوب أداة للتأثير وليس للتأثر حتى ترتفع إلى مستوى الخيرية التي ذكرها الله في القرآن الكريم : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾ (آل عمران: 110).

إذ لا يجوز أن تلتمس الأمة الإسلامية الحلول الاجتماعية والاقتصادية في الفلسفات المنحرفة والأفكار الضالة ، فالأمة التي تغض النظر عن الالتزام

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

بتعاليم العقيدة التي تؤمن بها تفتقد كثيراً من عوامل التضامن والتعاون والأمن والسلام. كما تفتقد أيضاً شخصيتها وهويتها والشعور بمسؤوليتها أمام الله وأمام الأمم والشعوب.. فالإسلام لا يعادي أحداً من البشر، لأنه جاء إلى الناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها.. فكيف يعاديهم وهو السلام ، وتحيته السلام، وجاء إليهم رحمة بهم لإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وخلاصة القول:

إن المبادئ الأساسية للعلاقات البشرية آنفة الذكر، وهي التوحيد، ووحدة الأصل البشري، وكرامة الإنسان ، والتعاون البشري ، والتسامح، والحرية ، والفضيلة ، والعدل، والوفاء بالعهد، ومنع الفساد في الأرض، تلتقي الضوء على الأساليب الحكيمة التي يريد الله للبشر أن يستخدموها في الحوار والتعايش السلمي.

وإذا كانت قضية الحوار تستهدف الطريق المستقيم، فإن الضعف يتجسد في أي أسلوب يفتقد فيه الإنسان عنصر المبادرة من أجل الوصول إلى الهدف المنشود .. بينما تكمن القوة في الأخذ بالمبادرة في كل الأحوال، وأن القوة والضعف من القضايا النسبية التي تختلف باختلاف مجالاتها في السلم والحرب، فلا يهتدي الإنسان إلى حقيقتها إلا ببذل جهد فكري وعملي، مصداقاً لقول الله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69).

ومما سبق فإن الحسنة تعبر عن الأسلوب السلمي، بينما تعبر السيئة عن الأسلوب العنيف ، ونحن لن نحتاج إلى جهد كبير لنعرف أن الحوار بالتي هي أحسن يتمثل في اتباع أفضل الأساليب وأحسنها في إقناع الخصم أو المعاند بالفكرة التي يدور حولها الحوار، بحيث يظل المحاور في ملاحظة واعية لكل الأساليب المطروحة المعروفة وغير المعروفة ليختار منها الأسلوب الأحسن، أو الطريق الأفضل ، سواء أكان ذلك في الكلمات التي يستخدمها أم في المعاني التي يعبر عنها.

فنحن لا ننكر ما صح مما يؤمن به النصارى من كتاب وما يعتقدونه من رسالة لأن المسلم يؤمن بكل الرسالات السماوية وبجميع الأنبياء والرسل، وبالعبودية لله وحده لا شريك له.

وعلى هذا الأساس يبدأ الحوار مع غير المسلمين من مبادئ مشتركة يمكننا أن نقف عليها معاً بحيث نشعر بإمكانية اللقاء في القضايا الأخرى، بعد تحقيق اللقاء في القضايا الأساسية للعلاقات البشرية.

وختاماً:

يعد الحوار وسيلة سلمية من وسائل التعامل البشري في معترك الحياة، ويستعمل لغرض ودي في الغالب الأعم، وقد يكون مباشراً أو غير مباشر، أي قولي أو عملي أو فعلي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

<u>وتكمن العناصر التى يجب توفرها فى عملية الحوار فى النقاط التالية:</u>

- موضوع الحوار والهدف منه.
- معرفة المتحاورين للموضوع وأبعاده وآفاقه.
- الجو المناسب والهادئ للحوار.
- الأسلوب العلمي للحوار.
- الاحترام المتبادل بين الأطراف المتحاورين.
- الثقة بشخصية المحاور الذي يدير عملية الحوار أو الشخصيات المتحاورة.
- نتيجة الحوار وما يترتب عليها من أعمال بشرية في معترك الحياة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

This file was downloaded from QuranicThought.com